



سلسلة مطبوعات
هيئة الشام الإسلامية (٨)

النفاق

محمد صالح المتنج



ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ
٢٠١٢ / مارس

مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سلسلة أعمال القلوب (٢)

النفاق

تقديم

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده،
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فقد سعت هيئة الشام الإسلامية لإصدار مجموعة من الكتب
والرسائل العلمية والدعوية والتربوية، قياماً منها بواجب البلاغ
والنصح للأمة.

فعهدت بتأليف هذه الكتب والرسائل إلى المكتبين العلمي
والدعوي بالهيئة، لتخرج على شكل مختصرات علمية في موضوعات
شرعية مختلفة، تتميز بعبارات سهلة موجزة، تراعي أهم ما ينبغي
على المسلم معرفته من أمور دينه.

كما قامت الهيئة بانتقاء عدد من مؤلفات بعض أهل الفضل
والعلم، والتي تميز بجودة مادتها العلمية، ورصانة أسلوبها.
وطبعتها ضمن سلسلة إصداراتها بعد موافقة مؤلفيها وإذنهم.

ومن هذه المؤلفات: كتاب (النفاق)، وهو من تأليف
فضيلة الشيخ محمد صالح المنجد - ويتحدث عن مرض من
أخطر الأمراض التي تفسد القلب إن لم يكن أخطرها، وقد

يقع فيه الإنسان من حيث لا يشعر. لذلك وجب التحذير منه وذكر أنواعه، وصفات المنافقين، وسبل الوقاية منه. نسأل الله تعالى أن يتقبل من الشيخ ، وينفع بكلماته، ويجنبنا مزالق الشيطان وخطراته، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل .

والحمد لله رب العالمين

هيئة الشام الإسلامية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن النفاق داء وبييل، وانحراف خطير، وشر مستطير، وهو من أخطر الأمراض التي تفسد القلب إن لم يكن أخطرها، والإنسان لا يرضى لنفسه النفاق غير أنه قد يقع فيه من حيث لا يشعر، وبالخصوص النفاق العملي، وهذا لا يعني أن يقف الإنسان عاجزاً عن مواجهته، وينخطئ من يستهين به دون أن يمحض نفسه منه؛ لأنَّه يسلب من الإنسان كل صفات الخير، ويحرمه من فعل الصالحات، ويتنزع منه كل القيم السامية؛ حتى يجعله منبوذاً مدحوراً. وقد جاءت سور القرآن بكشف أهله، وذكر صفاتهم.

وستطرق في هذا الكتاب إلى تعريف النفاق، وذكر أنواعه، وبيان صفات المنافقين، وسبل الوقاية منه.

أشكر كل من ساهم في إعداد هذه المادة وإخراجها،
وصلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّداً.

تعريف النفاق

النفاق لغة:

(نفق) النون والفاء والكاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والأخر على إخفاء شيء وإغماضه. مأْخوذ من النفق، وهو السُّرُب في الأرض الذي يُسْتَتر فيه، وسمّي النفاق بذلك لأنَّ المنافق يستر كفَرَه^(١).

والنفاق [اصطلاح شرعي] لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وإن كان أصله معروفاً في اللغة العربية.

النفاق شرعاً:

إظهار الخير وإسرار الشر.

نقل عن ابن جريج قوله: المنافق يخالف قوله فعله، وسرُّه علانيته، ومدخله خرجَه، ومشهدُه مغيَّبه^(٢).

(١) انظر: لسان العرب (١٠/٣٥٧)، وانظر: معجم مقاييس اللغة (٥/٤٥٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/١٧٦).

أنواع النفاق

النفاق ينقسم إلى نفاق أكبر ونفاق أصغر.

قال ابن تيمية: (والنفاق كالكفر نفاق دون نفاق ولهذا كثيراً ما يقال: كفر ينقل عن الملة وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر ونفاق أصغر)^(١).

١- النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر):

وهو أن يظهر الإيمان والإسلام وهو كافر في الباطن، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ ونزل القرآن بذمّ أهله وتکفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

قال ابن رجب: (النفاق الأكبر وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ويبيطن ما ينافق ذلك كله أو بعضه)^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٧/٥٢٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٤٣١).

وقد يطلق الفقهاء لفظ الزنديق على المنافق.

قال ابن القيم: (طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله، هؤلاء هم المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار) ^(١).

٢- النفاق العملي (النفاق الأصغر):

وهو ترك المحافظة على أمور الدين سرًّا، ومراعاتها علنًا، مع الإيمان بالله وصحة الاعتقاد.

قال ابن رجب: (النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، وييطن ما يخالف ذلك) ^(٢).

والنفاق الأصغر العملي قد يجتمع في قلب المسلم مع أصل الإيمان وهو من أكبر الذنوب والمعاصي، بخلاف النفاق الأكبر فإنه ينافي الإيمان، فلا يجتمع نفاق أكبر مع الإيمان بالله في قلب عبد.

(١) طريق المجرتين (٥٩٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (٤٣١/١).

ولكن إذا استحكم النفاق الأصغر وكامل؛ فقد يفضي أصحابه إلى النفاق الأكبر والانسلاخ من الدين بالكلية.

والنفاق العملي لا يخلد صاحبه في النار، بل حكمه حكم سائر أهل الكبائر، فإن شاء الله غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه على ذنبه ثم يكون مآلـه إلى الجنة.

والنفاق في الدين منه ما هو أصلي ومنه ما هو طارئ:

فالملتصص بالنفاق الأصلي، النفاق الذي لم يُسبق بإسلام صحيح، فقد تدفع المصلحة الدنيوية بعض الناس، إلى التظاهر بالانتساب للإسلام وهو غير مؤمن به في قلبه، فيكون منافقاً منذ اللحظة الأولى لإعلان إسلامه، ثم يستمر على هذا النفاق.

وقد يعلن بعض الناس إسلامهم وهم صادقون، ثم يطرأ الشك والنفاق على قلوبهم، بعد تعرضهم لابتلاءات مختلفة يمتحن الله بها صدق إيمانهم، فيرتدون عن الإسلام ردة داخلية، ويخشون إعلان ردهم، ويستمرون على التظاهر بالإسلام، مخافة إجراء أحكام الردة عليهم، أو مخافة فوات منافع دينية

تأتيهم بوصفهم مسلمين، أو خافة تعرضهم للذم وفقدهم
مكانتهم في المجتمع، أو غير ذلك من صور المنافع التي
يرونها، فيستمرون على إظهار الإسلام بينما هم في الحقيقة
كافرون مرتدون.

الخوف من النفاق

اشتد خوف الصحابة ومن بعدهم من الصالحين من النفاق حتى كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا فرغ من التشهد في الصلاة يتغوز بالله من النفاق، ويكثر التعوذ منه، فقال له أحدهم: ومالك يا أبو الدرداء أنت والنفاق؟، فقال دعنا عنك، فو الله إن الرجل ليقلب عن دينه في الساعة الواحدة فيخلع منه^(١).

وعن حنظلة رضي الله عنه قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلوات الله عليه وسلم يذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلوات الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيغات، فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فو الله، إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلوات الله عليه وسلم، قلت: نافق حنظلة يا رسول

(١) سير أعلام النبلاء (٦ / ٣٨٢) قال الذهبي إسناده صحيح.

الله، فقال رسول الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأّنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيغات نسيينا كثيراً، فقال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الدِّكْرِ، لصَافَّحْتُكُمُ الْمَلَائِكَةَ عَلَى فُرْشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، لَكُنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً»^(١).

ومعنى (نافق حنظلة): أنه خاف أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكير والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصل النفاق إظهار ما يكتمن خلافه من الشرّ، فخاف أن يكون ذلك نفاقاً، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يكلفون الدوام على ذلك. «سَاعَةً وَسَاعَةً» أي: ساعة كذا وساعة كذا^(٢).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: دُعي عمر لجنازة فخرج

(١) رواه مسلم (٢٧٥٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٦٧/٦٦).

فيها أو يريدها، فتعلّقتُ به فقلتُ: اجلس يا أمير المؤمنين،
فإنه من أولئك أئي: من المنافقين، فقال: نشدتك الله، أنا
منهم؟ قال: لا، ولا أبرئ أحداً بعده^(١).

وقال ابن أبي مليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي
صلوات الله عليه كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه
على إيمان جبريل وميكائيل^(٢).

وقال ابن القيم: (تالله، لقد مُلئت قلوب القوم إيماناً
ويقيناً، وخوفهم من النفاق شديد، وهم في ذلك ثقيل،
وسواهم كثير منهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وهم يدعون
أن إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل)^(٣).

وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان بل المراد
به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً^(٤).

(١) رواه ابن أبي شيبة (٨/٦٣٧)، وقال الم testimي في المجمع (٣/٤٢): رجاله ثقات.

(٢) رواه البخاري (١/٢٦).

(٣) مدارج السالكين (١/٣٥٨).

(٤) إحياء علوم الدين (٤/١٧٢).

صفات المنافقين في الكتاب والسنة

جاء ذكر المنافقين في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة في مواضع عديدة تبيّن صفاتهم، وتحذر المؤمنين منهم، حتى أفرد الله تعالى سورة خاصة بهم، ومن صفاتهم:

١- مرض القلب:

قال الله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

قال ابن القيم: (قد نهكت أمراض الشبهات والشهوات قلوبهم فأهلكتها، وغلبت القصود السيئة على إراداتهم ونياتهم فأفسدتها، ففسادهم قد ترامى إلى الهالك، فعجز عنه الأطباء العارفون)، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(١).

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٩).

٢- الطمع الشهواني:

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضُعُنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

فيطمع الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه،
إما شاكٌ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخف
بحدود الله، وإما متهاون بإثبات الفواحش^(١).

٣- التكبر والاستكبار:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْلَا رُؤْسَهُمْ وَرَأْيَتُهُمْ يَصْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكِبُرُونَ﴾ [المنافقون: ٥].

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم إذا
قيل لهم: ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْلَا رُؤْسَهُمْ وَرَأْيَتُهُمْ يَصْدُونَ وَهُمْ مُسْتَكِبُرُونَ﴾ أي: صدوا وأعرضوا عما قيل لهم
استكبارا عن ذلك، واحتقارا لما قيل، وهذا قال تعالى:

(١) جامع البيان (٢٥٨/٢٠).

(وَرَأَيْتُهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكِدُونَ). ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهِدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) ^(١).

٤- الاستهزاء بآيات الله:

قال الله تعالى: (يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةً تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهِزُ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذِرُونَ) [التوبة: ٦٤].

يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، أي: تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم. وقيل: إن الله أنزل هذه الآية على رسول الله ﷺ لأن المنافقين كانوا إذا عابوا رسول الله ﷺ وذكروا شيئاً من أمره وأمر المسلمين قالوا: لعل الله لا يفضي سرنا، فقال الله لنبيه ﷺ: قل لهم: (أَسْتَهِزُ إِنَّمَا تَهْذِدُهُمْ مَتَوَعِّداً)، متهدداً لهم متوعداً، (إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذِرُونَ) ^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٤٧٣).

(٢) جامع البيان (١٤/٣٣١).

٥- الاستهزاء بالمؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا إِنَّا أَمْنَى وَإِذَا خَلَوْا إِلَيْنَا شَيَّطِنُهُمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿ ١٤﴾ **البقرة: ١٤-١٥**

قال ابن القيم: (لكل منهم وجهان: وجه يلقى به المؤمنين، ووجه ينقلب به إلى إخوانه من الملحدين، وله لسانان: أحدهما يقبله بظاهره المسلمين، والآخر يترجم به عن سرّه المكرون).

وقد أعرضوا عن الكتاب والسنّة استهزاءً بأهلها واستحقاراً، وأبوا أن يقادوا لحكم الوحيين فرحاً بما عندهم من العلم الذي لا ينفع الاستكثار منه إلا أشرا واستكباراً، فتراهم أبداً بالتمسكين بصريح الوحي يستهزؤون ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَنْهَا مِنْ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَلُونَ ﴾ ^(١).

(١) مدارج السالكين (١/٣٥٠).

٦- صد الناس عن الإنفاق:

قال الله تعالى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنَضُّوا وَلَلَّهُ خَرَابُ الْسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَفِّقِينَ لَا يَفْهَمُونَ ﴾ [النافعون: ٧].

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمرا، فذكره للنبي صلوات الله عليه، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلوات الله عليه إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفو ما قالوا، فكذببني رسول الله صلوات الله عليه وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله صلوات الله عليه ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَفِّقُونَ ﴾ . بعث إلى النبي صلوات الله عليه فقرأ فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدًا»^(١).

(١) رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

٧- السفه ورمي المؤمنين بالسفه:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ إِيمَانُكُمْ كَمَا إِيمَانَ النَّاسِ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا إِيمَانَ السُّفهَاءِ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفهَاءُ وَلَكِنَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣].

قال ابن القيم: (المتمسك) عندهم بالكتاب والستة صاحب ظواهر، مبخوس حظه من المعقول، والدائر مع النصوص عندهم كحمار يحمل أسفارا، فهم في حمل المنقول، وبضاعة تاجر الوحي لديهم كاسدة، وما هو عندهم بمقبول، وأهل الاتباع عندهم سفهاء، فهم في خلواتهم ومجالسهم بهم يتطيرون^(١).

٨- موالة الكافرين:

قال الله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَفِّقِينَ بِأَنَّهُمْ عَدَابًا أَلِيمًا ﴾ ١٣٨
 ﴿ الَّذِينَ يَنْخَذُونَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْثَنْغُونَ عِنْهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٩ - ١٣٨].

(١) مدارج السالكين (١) / ٣٥٠.

يقول الله لنبيه: يا محمد ﷺ **بَشِّرُ الْمُنَفِّقِينَ** ﴿الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء يعني أنصارا وأخلاقاً من دون المؤمنين، يعني: من غير المؤمنين. **أَيَّدُنَّعُونَ عِنْدَهُمُ الْعَزَّةَ**﴾ يقول: أيطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم إياهم أولياء من دون أهل الإيمان بي **فَإِنَّ الْعَزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴿يقول: فإن الذين اتخاذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العزة عندهم هم الأذلاء الأفلاء، فهلا اتخاذوا الأولياء من المؤمنين، فيلتسموا العزة والمنعة والنصرة من عند الله الذي له العزة والمنعة، الذي يعز من يشاء ويذلّ من يشاء، فيعزّهم ويمنعهم^(١) .

٩. الترخيص للمؤمنين:

قال الله تعالى: **الَّذِينَ يَرَبَصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَاتُلُوا أَلَّمْرَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَاتُلُوا أَلَّمْرَنَسْتَحِدُ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَيِّلًا** ﴿النساء: ١٤١﴾.

(١) جامع البيان (٣١٩/٩).

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿الَّذِينَ يَرْبَصُونَ بِكُم﴾ الذين يتظرون أيها المؤمنون بكم ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني: فإن فتح الله عليكم فتحا من عدوكم، فأفأء عليكم فيئا من المغامم، ﴿قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ نجاهد عدوكم، ونغزوهم معكم، فأعطونا نصيبا من الغنيمة، فإننا قد شهدنا القتال معكم، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ تَصْبِيبٌ﴾ يعني: وإن كان لأعدائكم من الكافرين حظ منكم بإصابتهم منكم ﴿قَالُوا﴾ يعني: قال هؤلاء المنافقون للكافرين ﴿أَلَّا نَسْتَحِوذُ عَلَيْكُمْ﴾ ألم نغلب عليكم حتى قهرتم المؤمنين، ونمنعكم منهم بتخديلنا إياهم، حتى امتنعوا منكم فانصرفوا، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ يعني: فالله يحكم بين المؤمنين والمنافقين يوم القيمة، فيفصل بينكم بالقضاء الفاصل بإدخال أهل الإيمان جنته، وأهل النفاق مع أوليائهم من الكفار ناره^(١).

(١) جامع البيان (٣٢٤/٩).

١٠- مخادعة الله والمكسل في العبادات:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّلُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيلُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا أَقْلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

إن المنافقين يخدعون الله بإحرابهم بتفاقفهم دماءهم وأموالهم، والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بأسائهم من الإيهان، مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر، استدراجاً منه لهم في الدنيا، حتى يلقوه في الآخرة فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنم.

وأما قوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ فإنه يعني أن المنافقين لا يعملون شيئاً من الأعمال التي فرضها الله على المؤمنين على وجه التقرّب بها إلى الله، لأنهم غير موقنين بمعاد ولا ثواب ولا عقاب، وإنما يعملون ما عملوا من الأعمال الظاهرة بقاء على أنفسهم، وحذاراً من المؤمنين عليها أن يقتلوها أو يسلبوها أموالهم، فهم إذا قاموا إلى الصلاة

التي هي من الفرائض الظاهرة قاموا كسلى إليها رباء للمؤمنين؛ ليحسبوهم منهم، وليسوا منهم؛ لأنهم غير معتقدٍ فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسلى.

وأما قوله: ﴿وَلَا يَدْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَيْلًا﴾ فلعل قائلاً أن يقول: وهل من ذكر الله شيء قليل؟ قيل له: إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبَت، إنما معناه: ولا يذكرون الله إلا ذكر رباء؛ ليدفعوا به عن أنفسهم القتل والسباء وسلب الأموال، لا ذكر موْقِنٌ مصْدَقٌ بتوحيد الله، مخلصٌ له الربوبية؛ فلذلك سماه الله قليلاً؛ لأنَّه غير مقصود به الله، ولا مبتغى به التقرب إلى الله، ولا مراداً به ثواب الله وما عنده، فهو وإن كثُرَ من وجه نصب عامله وذاكره في معنى السراب الذي له ظاهر بغير حقيقة ماء^(١).

(١) جامع البيان (٣٢٩/٥).

١١- التذبذب والتردد:

قال الله تعالى: ﴿مُذَدِّيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَوْلَاءِ وَلَا إِلَى هَوْلَاءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

عنى بذلك أن المنافقين متحيرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارى بين ذلك^(١).

وعن ابن عمر حَمِيدٌ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَثُلُ الْمُنَافِقِ كَمَثُلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً وَفِي هَذِهِ مَرَّةً»^(٢).

قال النووي: (العايرة: المترددة الحائرة، لا تدرى لأيها تتبع، ومعنى تعير أي: تردد وتذهب)^(٣).

(١) جامع البيان (٩/٣٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/١٢٨).

١٢- مخادعة المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿يُخْدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩٠].

خداع المنافق ربّه والمؤمنين إظهاره بلسانه من القول والتصديق خلاف الذي في قلبه من الشك والتکذيب؛ ليذرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه حكم الله وَجْهَكَ اللازم من كان بمثل حاله من التکذيب، لو لم يظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار من القتل والسباء، فذلك خداعه ربّه وأهل الإيمان بِاللهِ (١).

١٣- التحاكم إلى الطاغوت:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَمَنُوا بِمَا أُنزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّلَمِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ

(١) جامع البيان (١/٢٧٢).

رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿النساء: ٦٠-٦١﴾.

قال ابن القيم: (إن حاكمت المنافقين إلى صريح الوحي وجدتهم عنه نافرين، وإن دعوتهم إلى حكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ رأيتهم عنه معرضين، فلو شهدت حقائقهم لرأيت بينها وبين المدى أمدا بعيداً، ورأيتها معرضة عن الوحي إعراضاً شديداً) ^(١).

١٤- الإفساد بين المؤمنين:

قال الله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِي كُلِّ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِي كُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيهِمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبه: ٤٧].

﴿لَوْ خَرَجُوا فِي كُلِّ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: لأنهم جبناء مخدولون، ﴿خَبَالًا وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ يَغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي: ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة، ﴿وَفِي كُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ أي: مطيعون

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥٣).

لهم، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصرن بهم وإن كانوا
لا يعلمون حا لهم، فيؤدي إلى وقوع شرّ بين المؤمنين وفساد
كبير^(١).

١٥- الحلف الكاذب والغوف والجبن والهابط:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَحْلِفُوْنَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكُمْ قَوْمٌ يَفْرَوْنَ ﴾ ٥٦ ﴿ لَوْ يَحِدُوْنَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرِبَةً أَوْ مُدَخَّلًا لَوْلَأْ إِيَّاهُ وَهُمْ بَمَحْمُونَ ﴾ [التوبه: ٥٦]

يخبر الله تعالى نبيه ﷺ عن جزعهم وفرعهم وفرقهم
وهلعهم أنهم ﴿ وَمَحْلِفُوْنَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ ﴾ يميناً
مؤكدة، ﴿ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ﴾ أي: في نفس الأمر، ﴿ وَلَكُمْ قَوْمٌ يَفْرَوْنَ ﴾
أي: فهو الذي حملهم على الحلف. ﴿ لَوْ يَحِدُوْنَ مَلْجَأً ﴾ أي: حصلنا بتحصينهم به، وحرزا
يتحرزون به، ﴿ أَوْ مَغْرِبَةً ﴾ وهي التي في الجبال، ﴿ أَوْ مُدَخَّلًا لَوْلَأْ ﴾
وهو السرب في الأرض والنفق ﴿ مُدَخَّلًا لَوْلَأْ ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٦٠).

إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٤﴾ أي: يسر عون في ذهابهم عنكم؛ لأنهم إنما يخالفونكم كرها لا محابة، وودوا أنفسهم لا يخالفونكم، ولكن للضرورة أحکام، ولهذا لا يزالون في هم وحزن وغم؛ لأن الإسلام وأهله لا يزال في عز ونصر ورفعة، فلهذا كلّما سرّ المسلمون ساءهم ذلك فهم يودون أن لا يخالفوا المؤمنين وهذا قال: ﴿لَوْ يَحِدُّونَ مَلْجَأً أَوْ مَغْرِبَةً أَوْ مُدَخَّلًا لَوْلَأْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾^(١).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يُقْرَأُ لَهُمْ لِقَوْلُهُمْ كَمَا يَوْمَ خُبِّيَ مُسَنَّدٌ يَحْسُبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحذِرُهُمْ قَاتِلُهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ﴾.

قال ابن القيم: (أحسن الناس أجساماً وأخلبهم لساناً وألطفهم بياناً وأخربهم قلوباً وأضعفهم جناناً، فهم كالخشب المسندة التي لا ثمر لها، قد قلعت من مغارسها فتساندت إلى حائط يقيمها؛ لئلا يطأها السالكون).^(٢)

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/١٦٣).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٥٤).

١٦- يحبون أن يُحْمَدُوا بما لم يفعلوا:

قال الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسِنَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْوَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا فَلَا تَحْسِنْهُمْ بِمَفَازِقِ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه، وحلفو وأحببوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿ لَا تَحْسِنَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْوَا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعُلُوا ﴾^(١).

١٧- يعيّبون العمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أَعْطَلُوكَ مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوكَ مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبه: ٥٨].

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أَيُّهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ ﴾ أي: ومن المنافقين ﴿ مَنْ يَلْمِزُكَ ﴾

(١) رواه البخاري (٤٥٦٧)، ومسلم (٢٧٧٧).

أي: يعيب عليك **(فِي قُسْمِ الصَّدَقَاتِ إِذَا فَرَقْتَهَا، وَيَتَهَمَّكَ فِي ذَلِكَ، وَهُمُ الْمُتَهَمِّنُونَ الْمُأْبُونُونَ، وَهُمْ مَعَ هَذَا لَا يُنَكِّرُونَ لِلَّدِينِ، وَإِنَّهَا يَنْكِرُونَ لَحْظَ أَنفُسِهِمْ؛ وَهَذَا إِنْ أَعْطَوْا مِنَ الزَّكَاةِ رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**

أي: يغضبون لأنفسهم^(١).

وقال تعالى: **(الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [التوبه: ٧٩].

عن أبي مسعود (رضي الله عنه)، قال: لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغنى عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رباء، فنزلت: **(الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَوَّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ)**^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (١٨٢/٢).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٨)، ومسلم (١٠١٨).

لا يسلم أحد من عيدهم ولزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدقون يسلموه منهم، إن جاء أحد منهم بما جزيل قالوا: هذا مُرَاءٌ، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغنى عن صدقته^(١).

١٨- الرضا بأسائل الموضع:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً أَنَّ إِيمَانُوا بِاللهِ وَجَاهُدُوا مَعَ رَسُولِهِ أَسْتَعِذَنَكُمْ أَفْلُوأُ الطَّوْلُ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَعِيدِينَ ﴾ [التوبه: ٨٦].

يقول تعالى منكراً وذاماً للمتخلفين عن الجهاد الناكليين عنه مع القدرة عليه وجود السعة والطول، واستأذناه الرسول في القعود، وقالوا: ﴿ ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَعِيدِينَ ﴾، ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء وهن الخواالف، بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاماً، كما قال تعالى

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٨٤).

عنهم في الآية الأخرى: ﴿ أَشْحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْحُوقُ
رَأَيْتُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدْوُرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْشَى عَيْنَهُ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا
دَهَبَ الْحُوقُ سَلَقُوكُم بِالسِّنَّةِ حَدَادٍ ﴾ [الأحزاب: ١٩] أي:
علت ألسنتهم بالكلام الحاد القوي في الأمان، وفي الحرب
أجبن شيء^(١).

١٩. الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال الله تعالى: ﴿ الْمُنَفِّقُونَ وَالْمُنَفِّقَاتُ بَعْضُهُم مِنْ
بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيهِمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَفِّقِينَ هُمُ
الْفَسِقُونَ ﴾ [التوبه: ٦٧].

يقول تعالى منكرا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون يأمرنون بالمعروف وينهون عن المنكر كان هؤلاء ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: عن الإنفاق في

(١) تفسير القرآن العظيم (١٩٦/٤).

سبيل الله ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: نسوا ذكر الله ﴿فَنَسِيْهُم﴾ أي: عاملهم معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: ﴿وَقَيْلَ الْيَوْمَ تَنسَكُمْ كَمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا﴾. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طريق الحق الداخلون في طريق الضلاله^(١).

٢٠- كره الجهاد والتخلف عنه:

قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَهُوَ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نَنْفِرُوْا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُوْنَ﴾ [التوبة: ٨١].

يقول تعالى ذاما للمنافقين المتخلفين عن صحابة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وفرحوا بعودتهم بعد خروجه، ﴿وَكَهُوَ أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ معه ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض ﴿لَا نَنْفِرُوْا فِي الْحَرِّ﴾؛ وذلك أن

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ / ١٧٣).

الخروج في غزوة تبوك كان في شدة الحر عند طيب الظلال والشمار؛ فلهذا قالوا: لا تنفروا في الحرّ، قال الله تعالى لرسوله ﷺ **﴿ قُلْ هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ ﴾** التي تصيرون إليها بمخالفتكم **﴿ أَشَدُّ حَرًّا ﴾** مما فررتم منه من الحر، بل أشدّ حرّا من النار^(١).

٢١- التخديل والإرجاف:

قال الله تعالى: **﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنْفَعُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾** [١٢] **وَإِذْ قَاتَ طَبِيقَةً مِنْهُمْ يَأْهَلُ يَثْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَأَرْجِعُوهُ وَرِسْتَعِذُنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّ يُوَتَنَا عُورَةً وَمَا هِيَ بِعُورَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾** [الأحزاب: ١٢]

[١٣]

٢٢- البطء عن المؤمنين:

قال الله تعالى: **﴿ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنَّ أَصْبَתُكُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾** [النساء: ٧٢]

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/١٨٩).

هذا نعت من الله تعالى ذكره للمنافقين، نعتهم لنبيه ﷺ وأصحابه وصفتهم بصفتهم فقال: ﴿ وَإِنَّ مُنْكِرًا أَيَّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، يَعْنِي : مِنْ عَدَادِكُمْ وَقَوْمِكُمْ ، وَمَنْ يَتَشَبَّهُ بِكُمْ ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ دُعُوتِكُمْ وَمُلْتَكُمْ ، وَهُوَ مُنَافِقٌ يَبْطِئُ مِنْ أَطْاعَهُ مِنْكُمْ عَنْ جَهَادِ عَدُوكُمْ ، وَقَاتِلُهُمْ إِذَا أَنْتُمْ نَفَرْتُمْ إِلَيْهِمْ ، فَإِنَّ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةً ﴾ يقول: فإن أصابتكم هزيمة أو نالكم قتل أو جراح من عدوكم ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ فيصيّبني جراح أو ألم أو قتل، وسرّه تخلّفه عنكم شهادةً بكم؛ لأنّه من أهل الشك في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الأجر والثواب وفي وعيده، فهو غير راج ثواباً، ولا خائف عقاباً^(١).

٢٣- الاستندان عن الجهاد:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَكُوْلُ أَثْدَنَ لِي وَلَا يَقْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبه: ٤٩].

(١) جامع البيان (٨/٥٣٨).

يقول تعالى: ومن المنافقين من يقول لك يا محمد: ﴿أَئْذَنْ لِي﴾ في القعود ﴿وَلَا نَفْتِنَّهُ﴾ بالخروج معك بسبب الجواري من نساء الروم، قال الله تعالى: ﴿أَلَا فِي أَفْتَنَةٍ سَقَطُوا﴾ أي: قد سقطوا في الفتنة بقولهم هذا^(١).

٤٤- اتخاذ الأعذار عند التخلف:

قال الله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةِ فَيُنَزِّلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبه: ٩٤].

أخبر تعالى عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة أنهم يعتذرون إليهم ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ أي: لن نصدقكم، ﴿قَدْ نَبَأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي: قد أعلمنا الله أحوالكم، ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ أي: سيظهر أعمالكم للناس في الدنيا، ﴿ثُمَّ تُرْدُونَ إِلَى عَلِمِ الْغَيْبِ

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/١٦١).

وَالشَّهَدَةُ فِي نِسْكِكُمْ إِمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ أي: فيخبركم بأعمالكم، خيرها وشرها، ويجزيكم عليها^(١).

٢٥. الاستخفاء من الناس:

قال الله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨].

هذا إنكار على المنافقين في كونهم يستخفون بقبائلهم من الناس؛ لئلا ينكروا عليهم، ويجاهرون الله بها؛ لأنه مطلع على سرائرهم، وعالماً بما في ضمائرهم، ولهذا قال: ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ تهديد لهم ووعيد^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/٢٠١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٠٧).

٢٦- الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْمِنُهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا لَا تَنْجِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوْلًا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُحْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرٌ قَدْ بَيَّنَاهُ لَكُمْ أَلَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقُلُونَ ﴾١١٨ هَاتَانِمُ اُولَاءِ الْجُنُونُهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ ۝
 كُلُّهُ، وَإِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوا إِنَّا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصُوا عَلَيْكُمُ الْأَنَاءِمَلَ مِنَ الْفَيْظِ ۝ قُلْ مُؤْمِنُوا يَغْيِظُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبُّكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۝ وَإِنْ تَصْرِفُوا وَتَنْقُوا لَا يَفْرُثُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بِحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي: يطلعونهم على سرائرهم، وما يضمروننه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالاً أي: يسعون في خالفتهم، وما يضرّهم بكل ممكن، وبما يستطيعون من المكر والخدية، ويودّون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشقّ عليهم ^(١).

(١) تفسير القرآن العظيم (١٠٦ / ٢).

٢٧ - إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم

فجر:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لِيُنْهَا مِنْ فَضْلِهِ، لَنَصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾^{٧٥} فَلَمَّاءَاتَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، بَخِلُوا بِهِ، وَتَوَلُوا وَهُمْ مُعَرِّضُونَ ﴾ [التوبه: ٧٥-٧٧].

يقول تعالى: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدقون من ماله، ولزيكون من الصالحين، فما وقى بها قال، ولا صدق فيها ادعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقا سكن في قلوبهم إلى يوم يلقوا الله وَيَكُلُّ يوم القيمة، عياذا بالله من ذلك ^(١).

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨].

قال ابن القيم: (رأس ما لهم الخديعة والمكر، وبضاعتهم الكذب والخثر، وعندتهم العقل المعيشي أن الفريقين عنهم

(١) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٨٣).

راضون، وهم بينهم آمنون، ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءاَمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «أَرَبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢).

قال النووي: (هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، فإن إخوة يوسف رضي الله عنهما جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار: إن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو

(١) مدارج السالكين (١/٣٤٩).

(٢) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده واتئمنه وخاصمه وعاهده من الناس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلّدين في الدرك الأسفل من النار.

وقوله ﷺ: «كان منافقا خالصا» معناه: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال. قال بعض العلماء: وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه، وهذا هو المختار في معنى الحديث^(١).

٢٨ - تأخير الصلاة عن وقتها:

عن العلاء بن عبد الرحمن أنه دخل على أنس بن مالك رضي الله عنه في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر، وداره بجنب المسجد، فلما دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعية من الظهر، قال: فصلوا العصر، فقموا فصلينا، فلما

(١) شرح النووي على مسلم (٤٦-٤٧/٢).

انصرفنا قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»^(١).

قال ابن القيم: (يؤخرون الصلاة عن وقتها الأول إلى شرق الموتى^(٢)، فالصبح عند طلوع الشمس، والعصر عند الغروب، وينقرونها نقر الغراب إذ هي صلاة الأبدان لا صلاة القلوب، ويلتفتون فيها التفات الشعلب إذ يتيقن أنه مطرود مطلوب)^(٣).

٢٩- التخلف عن صلاة الجمعة:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صلتم في بيوتكم كما يصلى هذا المخالف في بيته

(١) رواه مسلم (٦٢٢).

(٢) قال في القاموس (١١٥٨): لم يبق من النهار إلا بقدر ما يبقى من نفس المحتضر إذا شرق بريقه.

(٣) مدارج السالكين (١ / ٣٥٤).

لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهّر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحطّ عنه بها سيئة، ولقد رأيْتُنا وما يتخلّف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصفة^(١).

قال الشُّعْبَانِيُّ: (ليس المراد بالمنافق ها هنا من يبطئ الكفر ويظهر الإسلام، وإنما كانت الجماعة فريضة؛ لأن من يبطئ الكفر كافر، ولكن آخر الكلام منافقاً لأوله)^(٢).

٣٠ - البداء والبيان:

عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: «الحياءُ والعُيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَدَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النَّفَاقِ»^(٣).

(١) رواه مسلم (٦٥٤).

(٢) ينظر: عون المبود (١٧٩/٢).

(٣) رواه الترمذى (٢٠٢٧)، وصححه الحاكم.

قال الترمذى: (والعى قلة الكلام، والبذاء هو الفحش في الكلام، والبيان هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام، ويتفصّلون فيه، من مدح الناس فيما لا يرضي الله).

وقال ابن القيم: (وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالفقد، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليل ما هم. وليس على الأديان أضرّ من هذا الضرب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قبلهم، وهذا جلّ الله أمرهم في القرآن، وأوضحت أوصافهم، وبيّن أحواهم، وكرر ذكرهم؛ لشدة المؤنة على الأمة بهم وعِظَم البلية عليهم بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم والتحرّز من مشابهتهم والإصغاء إليهم، فكم قطعوا على السالكين إلى الله طريق الهدى، وسلكوا بهم سبل الردى، وعدُوهم ومنوهم، ولكن وعدوهم الغرور، ومنوهم الويل والثبور^(١)).

(١) طريق المجرتين (٦٠٣).

٣١- سماع الغناء:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت النفاق في القلب^(١).

قال ابن القيم: (فإن أساس النفاق: أن يخالف الظاهر الباطن وصاحب الغناء بين أمرين إما أن يتهتك فيكون فاجراً أو يظهر النسك فيكون منافقاً، فإنه يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات ومحبة ما يكرهه الله ورسوله من أصوات المعاذف وآلات اللهو وما يدعوه إليه الغناء ويهيجه، فقلبه بذلك معمور وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر وهذا محض النفاق... وأيضاً فمن علامات النفاق: قلة ذكر الله، والكسل عند القيام إلى الصلاة، ونقر الصلاة، وقل أن تجد مفتوناً بالغناء إلا وهذا وصفه، وأيضاً: فإن النفاق مؤسس على الكذب، والغناء من أكذب الشعر؛ فإنه يحسن القبيح ويزيمه ويأمر به، ويقيبح الحسن ويزهد فيه، وذلك عين النفاق، وأيضاً فإن النفاق غش ومكر وخداع، والغناء مؤسس على ذلك^(٢).

(١) شعب الإثبات (١٠/٢٢٣).

(٢) إغاثة اللهفان (١/٢٥٠).

الوقاية من النفاق

حتى يقي المسلم نفسه من النفاق يتحتم عليه التحلي بالصفات الحسنة والأعمال الصالحة، والتي منها:

١٠- التبکیر لاصلاة وادراك تکبیرة الاحرام:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى اللَّهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَ الْأُولَى، كُتِّبَتْ لَهُ بِرَاءَةٌ، بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النَّفَاقِ»^(١).

(براءة من النار) أي خلاص ونجاة منها يقال برأ من الدين والعيب خلص (وبراءة من النفاق) قال الطبيبي أي يؤمنه في الدنيا أن يعمل عمل المنافق ويوقفه لعمل أهل الإخلاص، وفي الآخرة يؤمنه مما يعذبه المنافق ويشهد له بأنه غير منافق يعني بأن المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسلال وحال هذا بخلافهم كذا في المرقة^(٢).

(١) رواه الترمذى (٢٤١)، وحسنه الألبانى.

(٢) تحفة الأحوذى (٤٠ / ٢).

٢- حسن الخلق والتفقه في الدين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «**خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ، وَلَا فِقْهٌ فِي الدِّينِ**»^(١).

(حسن سمت) تحري طرق الخير والتزوي بزي الصالحين
مع التنزيه عن المعائب الظاهرة والباطنة.

(ولا فقه في الدين) عطف بلا لأن حسن سمت في سياق
النفي فلا لتأكيد النفي المساو^(٢).

٣- الصدقة:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّأَنِ أَوْ تَمَلَّأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءُ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَاعَ نَفْسَهُ فَمُعْتَقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا**»^(٣).

(١) رواه الترمذى (٢٦٨٤)، وصححه الألبانى.

(٢) تحفة الأحوذى (٣٧٨ / ٧).

(٣) رواه مسلم (٢٢٣).

الصدقة حجة على إيمان فاعلها، فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقد أنها تصدق استدلال بصدقته على صدق إيمانه^(١).

٤- قيام الليل:

قال قتادة: يقال: قلما ساهر الليل منافق^(٢).
وذلك لأن المنافق إنما ينشط للعمل الصالح إذا رأى الناس فإن كان خاليًا لم يكن عنده الدافع للعمل الصالح. فإذا قام العبد الليل فهو دليل على عدم نفاقه، وعلى صدقه في إيمانه.

٥- الجهاد في سبيل الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةِ مِنْ نِفَاقٍ»^(٣).

(١) شرح النووي على مسلم (١٠١/٣).

(٢) حلية الأولياء (٣٣٨/٢).

(٣) رواه مسلم (١٩١٠).

قال النووي: (المراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المخالفين عن الجihad في هذا الوصف؛ فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق. وفي هذا الحديث أن من نوى فعل عبادة فهات قبل فعلها لا يتوجه عليه من الذم ما يتوجه على من مات ولم ينوهها^(١)).

٦. كثرة ذكر الله:

قال ابن القيم: (إن كثرة ذكر الله وَجْهُكَ أمان من النفاق؛ فإن المنافقين قليلوا الذكر لله وَجْهُكَ، قال الله وَجْهُكَ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال كعب: من أكثر ذكر الله وَجْهُكَ بريء من النفاق. ولهذا - والله أعلم - ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُنْهَاكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، فإن في ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله وَجْهُكَ فوقعوا في النفاق.

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/٥٦).

وسائل بعض الصحابة رضي الله عنه عن الخوارج: منافقون هم؟ قال: (لا، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا). فهذا من علامات النفاق: قلة ذكر الله تعظيم، وكثرة الأمان من النفاق، والله تعظيم أكرم من أن يتلذث قلبا ذاكرا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله تعظيم).^(١).

٧. الدعاء:

عن جبير بن نفير قال: دخلت على أبي الدرداء منزله بحمص، فإذا هو قائم يصلّي في مسجده، فلما جلس يتشهد جعل يتغول بالله من النفاق، فلما انصرف قلت: غفر الله لك يا أبي الدرداء، ما أنت والنفاق؟ قال: (اللهم غفرًا - ثلاثا -، من يؤمن البلاء؟! من يؤمن البلاء؟! والله إن الرجل ليفتتن في ساعة فينقرب عن دينه).^(٢).

(١) الوابل الصيب (١١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٨٢/٦) قال الذهبي إسناده صحيح.

٨- حب الأنصار بِحُبِّ الْأَنْصَارِ:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النَّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ»^(١).

٩- حب علي بن أبي طالب بِحُبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

عن زر قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي فَلَقَ
الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَاهُدُ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيَّ: أَنَّهُ لَا يُحِبُّنِي
إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يُغْضِنِي إِلَّا مُنَافِقٌ»^(٢).

(١) رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٧٨).

موقف المسلم من المنافقين

يجب عدم التهاون مع المنافقين، ولا يجوز التقليل من خطرهم، والمنافقون اليوم أشد خطراً منهم على عهد النبي ﷺ.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ كانوا يومئذ يسررون واليوم يجهرون^(١).

والموقف منهم كالتالي:

١- عدم طاعتهم:

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ أَتَقْ أَنَّ اللَّهَ وَلَا تُطِعَ الْكُفَّارِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١].

قال الطبرى: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ): ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ أَتَقْ أَنَّ اللَّهَ بِطَاعَتِهِ، وَأَدَاءَ فرائضهِ وَوَاجَبَ حَقَوقَهِ عَلَيْكَ، وَالاِنْتِهَاءُ عَنْ حَمَارِهِ وَإِنْتَهَاكُ حَدَودِهِ، وَلَا تُطِعَ الْكُفَّارِينَ﴾

(١) رواه البخاري (٧١١٣).

الذين يقولون لك: اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك، ﴿وَالْمُنَفِّقِينَ﴾ الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألكونك وأصحابك ودينك خبala، فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصرحا بهم، فإنهم لك أعداء، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه^(١).

٢- الإعراض عنهم وذريتهم ووعظهم:

قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَفِّقِينَ إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظَّهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيْغًا﴾ [النساء: ٦٣].

(١) جامع البيان (٢٠٢/٢٠).

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك - يا محمد - صفتهم، ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِم﴾ في احتکامهم إلى الطاغوت، وتركهم الاحتكام إليك، وصدودهم عنك، من النفاق والزيف، وإن حلفوا بالله ما أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً، ﴿فَأَغْرِضُ عَنْهُمْ وَعَظِّمُهُم﴾ يقول: فدعهم فلا تعاقبهم في أجسامهم وأبدانهم، ولكن عظمهم بتخويفك إياهم بأس الله أن يحل بهم، وعقوبته أن تنزل بدارهم، وحذرهم من مكروه ما هم عليه من الشك في أمر الله وأمر رسوله، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا يَلِيقًا﴾ يقول: مرهم باتقاء الله والتصديق به وبرسوله ووعده ووعيده^(١).

٣. عدم المجادلة أو الدفاع عنهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِدِّلُ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ أَنفُسَهُمْ﴾
 إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَشِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

يعنى بذلك جل ثناؤه: ﴿وَلَا يُحِدِّلُ﴾ يا محمد فتخاصم

(١) جامع البيان (٨/٥١٥).

﴿عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُم﴾ يعني: يخونون أنفسهم، يجعلونها خونة بخيانتهم ما خانوا من أموال من خانوه ماله، وهم بنو أبيرق، يقول: لا تخاصم عنهم من يطالعهم بحقوقهم، وما خانوه فيه من أموالهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ حَوَّانًا أَشِيمًا﴾ يقول: إن الله لا يحب من كان من صفتة خيانة الناس في أموالهم، وركوب الإثم في ذلك وغيره، مما حرمه الله عليه^(١).

٤- النهي عن موالاتهم والركون إليهم:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَمْنُوا لَا تَنْخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُوًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَاهُ لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقُلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم، ويصادفونهم المودة بالأسباب التي

(١) جامع البيان (٩/١٩٠).

كانت بينهم في جاهليتهم قبل الإسلام، فنهاهم الله عن ذلك،
وأن يستنصر بهم في شيء من أمورهم^(١).

٥- جهادهم والغفلة عليهم:

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي جَاهَدَ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

يقول تعالى ذكره: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي جَاهَدَ الْكُفَّارَ﴾
بالسيف والسلاح، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ واختلف أهل التأويل في
صفة الجهاد الذي أمر الله نبيه به في المنافقين، فقال بعضهم:
أمره بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به، وبه
قال ابن مسعود رضي الله عنه .

وقوله: ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وشدد
عليهم بالجهاد والقتال والإرعب^(٢).

(١) جامع البيان (٧ / ١٤٠).

(٢) جامع البيان (١٤ / ٣٦٠).

٦. تحقيرونهم وعدم تسويدهم:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا لِلنَّافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

٧. عدم الصلاة عليهم:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتِلُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا نَقْعَدُ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا تُوْلَىٰ وَهُمْ فَيُسْقَوْنَ﴾ [التوبه: ٨٤].

عن عبد الله قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، أعطني قميصك أكتفنه فيه وصلّ عليه واستغفر له، فأعطاه قميصه وقال: «إِذَا فَرَغْتَ مِنْهُ فَأَذِنْنَا»، فلما فرغ آذنه به، فجاء ليصلّ عليه، فجذبه عمر، فقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟! فقال:

(١) رواه أبو داود (٤٩٧٧) وصححه الألباني.

﴿ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِن سَتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾، فنزلت: ﴿ وَلَا تُصِلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبْدًا وَلَا نَقِمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾^(١). فترك الصلاة عليهم.

(١) رواه البخاري (٥٧٩٦).

الخاتمة

تبين مما سبق ذكره خطورة النفاق، وأنه مرض عضال، وخلق ذميم وصف النبي ﷺ المتخلق به بالغدر والخيانة والكذب والفجور؛ لأن صاحبه يظهر خلاف ما يبطن، فهو يدعي الصدق وهو يعلم أنه كاذب، ويدعي الأمانة وهو يعلم أنه خائن، ويدعي المحافظة على العهد وهو غادر به، ويرمي خصومه بالافتراءات وهو يعلم أنه فاجر فيها، فأخلاقه كلها مبنية على التدليس والخداع، وينحشى على من كانت هذه حاله أن يتلقي بالنفاق الأكبر، ذلك أن النفاق العملي - وإن كان من جملة الذنوب التي لا تخرج العبد من الملة - إلا أنه إذا استحكم بالعبد وحول سلوكه إلى حالة من الخداع والتلون المستمر، فربما بلغ به إلى معاملة ربه بها يعامل به خلقه، فيبتزع من قلبه الإيمان ويبدلنه نفاقاً، عقوبة منه وزجرأ.

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا وأن يجنبنا الفتنة ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

محمد صالح المنجد

اخبر فهمك

بين يديك مستويين من الأسئلة، أسئلة مباشرة وأخرى تحتاج منك إلى تأمل وإمعان نظر.

أسئلة المستوى الأول المباشرة:

- ١ - عرف النفاق في اللغة والشرع؟.
- ٢ - ما هي أنواع النفاق؟.
- ٣ - ما الفرق بين النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي؟.
- ٤ - للمنافقين صفات وسمات خاصة، فما هي أبرزها؟.
- ٥ - كيف يقي المسلم نفسه من النفاق؟.
- ٦ - ما هو الموقف الشرعي من المنافقين؟.

أسئلة المستوى الثاني الاستنباطية:

- ١ - ما الفرق بين النفاق الأصلي والنفاق الطارئ؟.
- ٢ - لماذا ظهر النفاق في المدينة ولم يظهر في مكة؟.

٣- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الغناء ينبت النفاق في القلب)، ووضح ذلك.

٤- ذكر النووي أن العلماء استشكروا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال: «أَرَبِيعُ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا حَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ حَصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، فما المعنى الصحيح للحديث؟ .

٥- اذكر بعضًا من أسماء السور التي تحدثت عن النفاق والمنافقين؟ .

المحتويات

٥ مقدمة
٧ تعريف النفاق
٨ أنواع النفاق
١٢ الخوف من النفاق
١٥ صفات المنافقين في الكتاب والسنة
٤٧ الوقاية من النفاق
٥٣ موقف المسلم من المنافقين
٦٠ الخاتمة
٦١ اختبر فهمك
٦٣ المحتويات

النفاق

النفاق داء وبيـل، وانحراف خطير، وشر مستطـير، وهو من أخطر الأمراض التي تفسد القلب إن لم يكن أخطرها، والإنسان لا يرضي لنفسه النفاق، غير أنه قد يقع فيه من حيث لا يشعر، وبالأخص النفاق العملي. وهذا لا يعني أن يقف الإنسان عاجزاً عن مواجهته. ويختـل من يستهـين به دون أن يحسـن نفسه منه، لأنـه يسلـب من الإـنسـان كل صـفـاتـ الـخـيـرـ ويـحرـمـهـ منـ فعلـ الصـالـحـاتـ، ويـخـشـىـ عـلـىـ منـ اـبـتـلـىـ بـهـ أـنـ يـسـتـحـكـمـ منهـ، فـيـنـزـعـ الإـيمـانـ منـ قـلـبـهـ. ويـبـتـلـىـ بـالـنـفـاقـ الـأـكـبـرـ عـيـادـاًـ بـالـلـهـ.



هـيـئـةـ الشـامـ إـلـاسـلامـيـةـ

www.islamicsham.org

contact@islamicsham.org

/islamicsham